اجتهادات
عبقرية وزيف وغموض

لم يعد مثقفو فرنسا الكبار، الذين ملأوا الدنيا وشغلوا العالم لعقود بعد الحرب العالمية الثانية موضع اهتمام واسع حتى فى مناسبات تتعلق بهذا أو ذاك منهم. جيل ذهبى من المثقفين ظهر فى مرحلة ثراء معرفى اقترنت بأسئلة فلسفية وفكرية نتجت عن أهوال حرب رهيبة.

لا تُثير الذكرى العشرون بعد المائة لولادة أندريه مالرو، والتى تصادف مرور 45 عامًا على رحيله، جدلاً يُذكر بعد أن كان أحد أكثر من أُجريت نقاشات حولهم. وفضلاً عن أن لدى الأجيال الجديدة فى فرنسا، كما فى العالم، اهتمامات ومشاغل أخري، يبدو أن الجدل حول حياة مالرو ودوره السياسى والثقافى استُنفد. لم يكن الأمر كذلك عندما قال عنه ريمون آرون، وهو مثقف كبير آخر فى هذا الجيل، إن (ثلثه عبقرية، وثلثه الثانى مزيف، والثالث غامض).

وبرغم أن آرون لم يقصد الإساءة إلى صديقه، فقد أثار وصفه ذاك جدلاً حول حقيقة مالرو. والتقط بعض الكُتاب الثلث الثانى المتعلق بالزيف، ونسجوا منه أعمالاً أشهرها كتاب أوليفييه تود 2006 (أندريه مالرو – سيرة حياة).

وذهب تود بعيدًا فى محاولته تعرية مالرو، الذى يبدو فى الكتاب مُدعيًا إلى حد الكذب، ليس فقط فى حديثه عن لقاءات جمعته وبعض قادة دول العالم، ولكن أيضًا فيما يتعلق بدوره فى أثناء مقاومة الاحتلال النازى

لفرنسا، من زاوية أنه التحق بها متأخرًا جدًا، ولم يشارك فى العمليات العسكرية برغم خبرته التى اكتسبها عندما ذهب لنصرة القوى الجمهورية والتقدمية فى إسبانيا خلال حربها الأهلية. ومضت كتابات عدة فى الاتجاه نفسه، إذ ظهر مالرو فيها مثقفًا وثوريًا ومقاومًا مزيفًا.

غير أن أعمالاً أخرى رسمت له صورة مختلفة. فهو أديب مُجيد أشاد به آخرون من جيله الذهبى مثل أندريه جيد، ومقاوم أسهم فى مواجهة الاحتلال النازى تحت قيادة الجنرال ديجول، الذى لم يستدعه من فراغ ليكون وزيرًا فى أول حكومات الجمهورية الخامسة عام 1958.

والأرجح أن حقيقة مالرو نجدها فى منطقة ما بين من ركزوا على زيفه، ومن اهتموا بعبقريته، بينما تبقى مساحة غامضة تختلط فيها الحقائق بالخيال.